جامـــعة عـــين شمس
كلـــــية الهـــــــندسة
قسم الهندسة المعمارية
المؤتمر المعماري الدولي الأول
"العمـــارة والعمـران .. والثـــقافة "
30/28 أكتوبر 2006م
ورقة بحثية بعنوان

" عولـــمة الإطار خل في ثنايا المضـــمون..

دراسة في دلائل ثقافة الاستهلاك "

إعـــداد :
ا.م.د/ **محمد إبراهيم جبر إبراهيم***

مضـــمون الطـــــرح..

تهيئ " ثقافة العولمة " .. إن جازت فرضية التواصل بينهما ــ وإلى حد بعيد ــ مستلزمات وشروط الهروب من الواقع المعاصر ، أو التعامي عنه .. ؛ ذلك أن " هيدجا " ذلك الواقع ــ بشتى طروحاتها ــ من شأنها أن تخدم غايات مؤسسات ، وإستراتيجيات أنظمة بعينها ..، في حين تدفع بأخري إلى مواقع السلبية ، والهامشية ، والاستهلاك المحض .. ؛ وثمة ظاهرة يمكن رصدها عبر ذلك المشهد .. ؛ ذلك أن طوفان الصور ــ على تعدد اطاراتها ــ الذي يحاصر الفرد والمجموع يتضمن " مفارقة " يصعب إغفالها ؛ .. ذلك أن تلك الصور بدلاً من أن تشحذ الرؤية فإنها تسبب العمى !! ؛ .. ولقد أضحينا بحسب " دو بري " : " بالرغم من تباهتنا معرضين لفقدان البصر؛ فعندما نرى كل شيء لا يعود لأي شيء قيمة ..!! ".

وإذا كان لـــ " ثقافة الاستهلاك " في نطاق " مجتمع الصورة " أن تنمِّط العقل وتسطحه ، فإنها بالمقابل تخاطب جوانب الضعف في بنيته ؛ جاعلة من صورة الآخر " الفتية دون ما عداها " ثيمتها الرئيسة ، ونموذجها المفضل .. ، باعتبارها تطرح تجسيدا لرغبة " الذات " في تجاوز واقع ، قل أن تري مثيله ..؛ شهد على " تهيبتها " ..، بل وتخطي ذلك الي جعلها احدي " أدواته " .

تلك المتغيرات وغيرها قد دفعت ــ ببعض المجتمعات ــ إلى تقرير صيغ ثقافية سمتها " الاستهلاك " لرؤى " العولمة " وفرضياتها ، .. الأمر الذي دفع بالنتاج الفعالى للأنساق الثقافية ــ الوضعية ــ تجاه صياغة قالبية فارغة المحتوى ؛ .. ديدنها " استنساخ " لمفردات الشكل مع " تغيبة " لدلائل المضمون .. ، وطبعي إن تنسحب سلبيات ذلك ــ مجملا ــ على " كنه " ذالك المضمون من جانب ، وارتباطه بالإرث الثقافي والفكري لمعطيات الواقع المكاني من أخر .. ؛ ولان العمارة " منتج ثقافي " يمكن استقراء الإشكالية المطروحة في بنى تشكله ؛ إزاء اتخاذ " الشكل " لفرضيات واقعه مع تغيبة لعلاقته بـــ " المضمون " .

نهـــــــــــــــجه .. استقراء تحليلي استنتاجي لـــ " مردود الخلل " في استيعاب وتفهم بعض من " طروحات العولمة " ، وما ارتبط بذلك من تقرير لما يعرف " بثقافة الاستهلاك " .. ؛ تلك التي أفرزت أطرا تشكيلية جامدة ، تجسد دهشة الذات إزاء املاءات الواقع ، وما استتبعها من ارتجال انتفت معه علاقاتها بما عاداه .

هـــــــــــــــدفه ..تقرير جدوى الإدراك في رؤية الذات لـــ : ثقل المـــــــوروث .. فرضيات الواقـــع .. وسبق الآخـــــــر .

مفردات ـــــــــــــــه ..المفتاحية : العولمة واقع .. العمارة أداة .. الاســـتهلاك ثقافة .. العمـــــــارة الشكل .. العمـــــارة المضمون.

---

*أستاذ نظريات العمارة المساعد كلية الهندسة جامعة عين شمس بريد الكتروني : &migabr@link.net
gabr300@hotmail.com

Ain Shams University

Collage of Engineering

First Architecture Urban Planning International Conference

ARUP 2006

"ARCHITECTURE ... URBNAISM & CULTURE"

28/30October

Cairo Egypt

"Frame globalization is a defect in the content core .. A study in the signs of consumption culture"

Abstract:

"Globalization culture" adapts if possible the supposition of communication between them – to great extent- and the requirements & conditions of the getaway or the ignorance of the contemporary reality with its objects has the function of serving institutions aims, and specific systems strategies while leading others to negative and marginal areas & absolute consumption . Also there is a phenomenon can be observed through that scene as the big amount of images - on their various frames – that besiege the individual and the group includes a "paradox" can not be left out as those images instead of attracting the sight, they cause blindness!!; ... we became although of our brilliance, exposed to lose our sight .when we see everything, there will be no value returns to any thing.

If consumption culture in the range of the image society makes the mind routine and superficial, on the one hand, it addresses the weakness areas in its structure and takes the "positive" image of the other as its main feature and its favorite pattern as it presents the desire of the self in overcoming reality rare to observe the same of it. A reality witnessed on its absence and made it one of its tools.

Such variables and others led some societies to determine cultural formulas called "consumption" of "visions" of "globalization" and its suppositions which led the effective outcome of the cultural patterns towards a routine formula with no content aims at copying the form items with the absence of the content signs and it's the case to retreat all the negatives of that on the essence of that content from one side and its relation with the intellectual and cultural heritage of the reality input of the place from another side. Since architecture is a "cultural product" the proposed problem can be inducted in the core of its formation towards taking the form for the suppositions of its reality and absence of its relation with the content.

Method:

Analytical deductive induction for the "defect outcome" in recognizing and understanding some of globalization issues and the related determination of "consumption culture" that resulted in hard plastic frames characterize the self wonder towards reality impositions and what followed it from improvisation resulted in cutting its relation with any thing except that improvisation .

Aim:

Determining the importance of recognition in the vision of self to the heritage weight …. Reality suppositions and the other's precedence.

Key words:

Globalization is a reality.. Architecture is a tool.. Consumption is a Culture. Architecture is the Form.. Architecture is the Content.

تمـــــــــــــهيد :

مع النصف الأخير من القرن العشرين عرف البشر واقعا جديدا ؛ إزاءه تحول العالم بأسره إلى قرية كونية واحدة ، جسدت واقع الفرد الجديد كبديل لحدوده المحلية الضيقة ، خاصة في سياق ما قدمته وسائل ذلك الواقع من فرص للاختيار بين ما لا حصر له من مكونات ، يختار الفرد من بينها ما يشاء "*ليكون عالمه هو* " الفريد ، فبدون أي سفر ينقل إليه ما يحدث في العالم وهو راقد في حجرته لا يفعل من شيء سوى تلقى شتى المؤثرات التي تلقيها عليه تلك الوسائل ، بشكل غاية في الجاذبية يمنعه ــ ما لم يكن ذا إرادة حديدية ــ من أن يبحث على مصادر أخرى وألوان أخرى من المعرفة والثقافة ؛ الأمر الذي جعله أسيرا للثقافة الجديدة التي سيدتها " البرجوازية " عالميا ، ووثقت بعض " الثقافات المحلية " لحيثيات وجودها ، وقد نجحت الأولي ــ وبالرغم من أزمتها الحادة ــ أن توظف معطيات الواقع الغير مسبوقة ، كأدوات قمع غير دموي لتطيل من أمد حياتها ، فبها وبها وحدها تضمن السلبية والرضا من قبل الجماهير ، وبها تغسل العقول ، وبها أيضا تضمن أن لا يكون ــ هناك ــ سوى ما تسمح به من معلومات وقيم تخدم مصالحها ، وتجسد ما يجب أن تتلقاه هذه الجماهير ــ المبهورة ــ إلى ما لا نهاية ، إنها فلسفة جديدة ؛ مفادها : أن كل المعروض متاح ، حسبك فقط أن تختار منه جادا كان أم هزليا ، إلا أن الأخير هو الأكثر رواجا والأعم استهدافا .. ، بل إنها هي الثقافة الجديدة .. " ثقافة الاستهلاك السطحية " ، تلك التي تبدأ من الاهتمام المفرط في استهلاك مختلف المعروض ، وتنتهي إلى التقوقع داخل الإطار الحسي والفكري له ؛ انه استهلاك للأفكار .. تلتقي فيه سعادة الجسد مع غيبة العقل ؛ خاصة إذا ماكان ــ ذلك الجسد ــ احد رواد العرض !!.

وطبعي أن تسخر ــ وفقا لآليات الاستثمار ــ كل عناصر الميديا لإلهاب ظهور المستهلكين ، بما لانهاية له من إعلانات مبهرة وملحة ومسلية ، مباشرة وغير مباشرة ، كي يستهلكوا ما هم في حاجة إليه ، وما هم ليسوا في حاجة إليه ، .. ، نوع من " الاستغراق " يستنزف رؤاهم وأفكارهم فيها يشبه " الكوميديا " ، التي يفقد الناس ازائها حتى حريتهم في الاختيار لأنهم محكومين بما تسيده الصورة ــ صنيعة الواقع المملوك للغير ــ التي يعتليها البريق ، ويسيطر عليها لهث محموم .. فهل يبقى بعد ذلك من قيم أخرى ذات بعد أرقى ، ومادام هؤلاء " المغيبون " سيكونون بهذا " الاستهلاك " الأسعد والأجمل والأكثر جاذبية واحترام وسعادة ، فهل عليهم من شيء سوى قصر كل أحلامهم وأمانيهم و افكارهم على امتلاك هذه وتلك ، خاصة إذا ما اقترنت تلك الصورة بصور بعض مما تجسده أحلام اليقظة ، .. ، إنها متعة تقتضي أن يضحي من أجلها بكل بخس وثمين .. بيد أن المأساة الكامنة في جوهرها هي أن الجوع المزمن " للاستهلاك " يظل يلازمهم حتى الموت ؛ .. فكيف تشعر بالإشباع وأنت محاصر بما لانهاية له من أفكار تحول بينك وبين إدراك ذاتك وحاجتها الحقيقية .. وكيف ترتوي وقد انفصل الجسد باردا عن قوى الإدراك والحاجة .. إن الظمأ شعور ينبغي إن تمليه أعضاء ذاك ــ الجسد ــ على المشاعر ، فان كانت الأخيرة ملك " الآخر" فكيف للعلاقة أن تستقيم !!؟.

ميديا الواقع المعاصر من شأنها أن تخدم غايات وإستراتيجيات مؤسسات وأنظمة بعينها ، وتدفع الآخرين إلى مواقع السلبية والهامشية والاستهلاك المحض.

وتلك الصورة للوضع الثقافي ــ في عالم اليوم ــ قد تختلف في تفصيلاتها في كل بلد على حدي .. فبرغم تعدد فرص التعلم والتثقف وإدراك سبل التفاعل مع طرح الواقع ، فأن الغالبية الساحقة قد اتخذت ــ بخيارها ــ موقف ــ ثقافة ــ التابع لا الفاعل . والأخطر هو الاستعلاء بتلك الثقافة والمعرفة وذلك الخيار ، بل والبحث في صيغ تبريره ، والاستكانة إلي ــ والخلد إلي ــ أغواره .. ومن ثم فمازال البشر رغم كل ما هو متاح لهم من فرص ينقسمون لغالبية ساحقة ذات ثقافة ومعرفة محدودة للغاية رغم تنوع أشكالها المذهل .. وأقلية آثرت أن تفهم العالم على نحو تقره طروحات الحضارة الإنسانية ، جابهها على الطرف الأخر إنسان تم تسطيحه وتشويهه منذ أن يولد وإلى أن يموت.

*دعونا نبدأ من رؤية الفيلسوف " **انجوس جراهام** " .. في قولته : " الفارق المدهل اكثر من سواه بين تراثين يمثلان طرفي العالم المتحضر هو قدر المنطق ومصيره .. اذ ظل المنطق عند الغرب محوريا ، ولم ينقطع ابدا الخيط الممتد لرسالته "..، (Graham, L. R., (1989)) ، وكذا طرح عالم الانثروبولوجيا " **نوبوهيرونا جاشيما** " .. : " المجابهة التزاما*

بالاتساق المنطقي .. يمكن الا تكون مثيرة للاستياء فحسب بل والنظر اليها باعتبارها امرا فجا .. " .. ، وإضافة يوسف الخال ..: " بين كوننا شكلا في العالم الحديث ، وكوننا جوهرا من خارجه "تناقض" يضطرنا إلي معاناة قضايا مجتمع قديم في عالم حديث ، ومعاناة قضايا عالم حديث في مجتمع قديم ..." .. (يوسف الخال ، نحن والعالم ، 1978 م ص6) .. ، لندفع بان : " الإدراك " .. باعث " الاستنارة " .. ؛ وهي حالة كيفية ونوعية من " الوعي .. الفاعل " .. بحقيقة " الذات " ، و " الواقع " ، و" المحيط " .. ؛ لابد فيها من الوعي " بالذات الحضارية والثقافية " ، والمعرفة الواعية " بالآخر الحضاري " و" الثقافي" أيضا ، (محمد عمارة ، الاستنارة بين الذات والآخر) .

فللذين تقف " ثقافتهم " عند موروثهم الفكري لا تتعداه ؛ هم ــ في أحسن الأحوال ــ كمن ينظر بعين واحدة ، فلا يبصر إلا ذاته ، ولايعي سوى مايقول .. !! ، أو كالأعمى الذي لا يدرك من وجوده غير جسده الذي يتحسسه بيديه !! ..

وكذلك حال " ثقافة " الذين صيغت عقولهم في " البوتقة الفكرية " لحضارة الأخر.. ؛ فغيبوا عن واقعهم ، وانعزلوا عن مواريثهم ، وتناسوا هوية حاضرهم ..، فغدت ثقافة الحضارة التي يحملون أسماءها ــ وإلى شعوبها ينتسبون ــ اثرا بعد عين .. ؛ لديهم اســـــتنارة .. غير أنها " لا تريهم " سوي الآخر، ولهم وعي .. ؛ لكن وعيهم " لا يدرك " الذات الحضارية التي يستظلون بعنوانها التاريخي العقدي والثقافي .

لاجل هذا ولغيره كثير ..كانت الاستنارة الكاملة " الفاعلة " هي الوعي الحقيقي بـــ " حضور الذات " ، مع الاقرار بـــ " ثقل الآخر "، ..، بل و" إدراك " وإعمال قوانين الأخذ والعطاء ، والتفاعل البناء بين تيارات الفكر الإنساني ، وثمرات العقول في مختلف الثقافات والحضارات . فالذين يكتفون " بذاتهم " الثقافية والحضارية بعيدا عن التلاقي مع " الآخر " لابد وأن يقودوا هذه " الذات " إلى الذبول والاضمحلال ، ..، مثلهم في ذلك كمثل المضرب عن الطعام ، يعيش أسيرا لعطاء الجسد حتى يستهلك مكوناته ..!! . وايضا فان الذين يتجاهلون أو يجهلون " الذات " الثقافية والحضارية لأمتهم ، ويتقمصون " ذوات " الآخر؛ لابد وأن تنتهي " ذاتهم " هذه ــ التي فرطوا فيها ــ إلى الذبول والاضمحلال ..!!.

فمعرفة " الذات " لا تغني عن معرفة " الآخر" ..، واستشراف " سبق " الآخر لا يغني أيضا عن حتمية تقرير " موقع " الذات ؛ والا فقد خلدت إلي سبات أضحي بها إلي أرض غرسها " حلم " ، وواقعها " خيال " .. وتلك ــ بالفعل ــ هي النهاية ، بيد أنها ــ أيضا ــ قد تكون بداية الإشكالية طرح الورقة ..

المشكلة .. الواقـــع :

العمارة ــ إن لم تكن دالة الثقافة ــ فهي الثقافة بعينها .. وارتباط الاخيرة بـــ " العمارة " دفع بها إلي " اصطلاحات شتى " .. ؛ جسدتها صيغ الامتزاج ، والتلاقي ، والامتصاص ، والتزاوج ، والتلاقي ، و.. ، و.. ، وغيرها من دلائل يمكن استقرائها فى النتاج الحواري " لثقافتين " .. ؛ يتحكم " الثقل " الكيفى لكليهما في توصيف ملامح ذلك النتاج ..؛ فقد يوصف بـــ " التلاقى " حال التوازن ، وقد يوصم بـــ " الامتصاص " حال الفوقية لاحداهما ، وبينهما ــ المفهومين ــ تتعدد الصور ، وتختلف النهايات .. ، وتلك الاخيرة اما انها بداية " لتبعية " او انها باعث " لتصحيح مسار" .. ، أوانها ليست نهايات فهى نقطة على " منحنى تطور" .. ، غير ان ذلك الطرح الاخير ــ ومنذ زمن ليس بقريب ــ لم يعد لنا ..؛ بل هو ملك " للآخر " .. ؛ صنعه وجعله جزءا من منظومة بنائه .. ، منظومة براقة .. ، خيل للبعض بان المخرج فى " استنساخ " مفرداتها ، ووقف البعض الاخر مشدوها ازاء ذلك البون .. ؛ بين واقع افل نجمه ، وقلت حيلة قاطنيه ، و بين منظور عز أن يدرك ، اوأن تستدعي عجائبه .

دعونا نقر بان " العمارة " ليست بمنئ عن ذلك مجملا .. ، فقد اشرنا انها صنيعة " الثقافة " .. ؛ تلك التي ظلت دوما باعثا للطرح السابق .. ، بل ولمشتقاته .. ، وماقد يترتب عليه من تساؤلات ؛ مثل : أين " عمارتنا " من " تلك " التى تلوح في افق هذا الزمان ؟؟ !! .. ، ماعلاقتها بالموروث .. الباعث ؟ !! ، ومامدى تعبيرها عن " حاجة " الذات للحضور الحقيقي ؟؟ !! ، وهل من سبيل لتلافي هذه الفجوة ؟! ، ومتى ؟؟!! ، واين ؟؟ !! .. لأجل ذلك مجملا ــ وغيره

كثير ــ نطرح لـــ : "*عولمة الاطار خلل في ثنايا المضمون .. دراسة في دلائل ثقافة الاستهلاك* " .. دعوة لتقرير العولمة " الإطار" ، وتلك " المضمون " ، وعلاقة كليهما بسلوك " الاستهلاك " .. على أن ذلك الطرح يتطلب تعريفا بعديد من المفاهيم ذات الصلة .. منها :

" الثقافة : " الأداة "، والهوية " المضمون "، العولمة "الباعث" ، الفكر: " الإطار" ، و"الاستهلاك الواقع".

تعبير المبني عن بصمة قاطنيه لا تخطئها عين ، ذلك أن العمارة "*إن لم تكن دالة الثقافة* " فهي الثقافة بعينها.

الثقـــــــافة .. الأداة :

تتعد تعاريف " *الثقافة* " ، وتختلف .. ، علي أن أبرزها يعرض لكونها : " *الكل المركب من المعرفة والمعتقدات والفنون والأخلاق والعرف وغير ذالك من الامكانات والعادات التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضو في المجتمع* " .. أو أنها : " *ذلك الإطار الفكري الجامع ، الذي يقوم بتوحيد الأفق الذهني للمنضوين تحت لوائه كأعضاء في انتماء إلى كيان واحد. وهو ما يتم عادة من خلال نظام متكامل ومتماسك من اللغة والرموز والشعارات والشعائر والمعتقدات الموجهة لسلوك ومواقف وعلاقات وتفاعلات أعضاء الجماعة* " .(مصطفى حجازي ، الثقافة الأصولية ، موقع الموسوعة الإسلامية ، في موضوع حصار الثقافة بين القنوات الفضائية والدعوة الأصولية) .

وقد ميز الألمان بين " الثقافة " كإطارمركزي ، ضمن منظومة مفاهيم الاقراد ؛ مثل : مثقف ، وتثقيف ، وفريد ثقافيا ، وبين " الحضارة " باعتبارها وصفا سببيا يتعلق بالعالم الحديث ، وكثيرا ما ردد المفكرون الألمان كلمة " ثقافة " مختلطة بمعلومات " تاريخية " و " إنسانية " ؛ حيث كانت " الموضوعات الإنسانية " متمثلة في التأكيد على التثقيف الذاتي ، وتثقيف النموذج ، على حين تنصرف " الموضوعات التاريخية " إلى التأكيد على التفرد الثقافي الخاص بمجتمعات وحضارات بعينها . وقد دفع ذلك بالبعض إلي التركيز على خصوصية وتفرد كل ثقافة أو شعب ، بينما ركز آخرون على أن ثقافة بعينها تجسد الإنسانية في زمن معين .

وفي معرض الاختلاف عرف منظرو الحركة الشاملة للثقافة العربية ــ التابعة لجامعة الدول العربية ــ مفهوم " الثقافة " *باعتبارها مناط الشخصية العربية ، ومستودع قيمها ، ووعاء حكمتها ، وحقيقة هويتها الحضارية* ، .. "..موكدين ــ أيضا ــ على أن الثقافة " العربية " تضع المجتمع موقعه ، وتصوغ ملامحه ، وتبرهن علي هويته وتماسكه . (محمود المربر، العولمة وعالم بلا هوية) .

والاختلاف السابق ــ وغيره ــ بقدر مايدفع بعدم وجود ثقافة حضارية " واحدة " ــ فهناك ثقافات " متعددة " متنوعة ؛ تعمل كل منها بصورة تلقائية ؛ للحفاظ علي كيانها ومقوماته الخاصة ــ بقدر ما يطرح للثقافة باعتبارها " اداة " فاعلة ؛ تتحدد ماهيتها ازاء اقترانها بما سبق طرحه من مفاهيم تجسدها حيثيات : التلاقي ، ، والامتصاص ، والتزاوج ، والتصادم ، .. ، وغيرها من مفاهيم ؛ تؤرخ لوضع " الذات " ، وما يقابلها من ثقل غير مسبوق لهيئة " الآخر " .. ؛ ويعرض لذلك " برهان غليون " بقوله : .. " ليس للثقافات الأخرى "ويقصد غير الغربية " أي مستقبل إلا إذا أدرك أصحابها طبيعة هذا النمط الجديد من السيطرة الثقافية وآلياتها، وبلوروا الإستراتيجيات المناسبة التي تسمح لثقافاتهم أن تبقى على مستوى المشاركة العالمية الإبداعية ، وألا تتحول إلى مجرد ثقافات هوية ، أو معبرة عن الاستمرارية والديمومة

التاريخية لمجموعة بشرية ، وهذا يفترض التعمق في فهم آليات هذه السيطرة الثقافية ، وتحديد أساليب طرح مشكلات تحول الثقافات ، والمهام المطروحة على أصحابها للنجاح في هذا التحول والارتفاع بثقافاتهم إلى مستوى متطلبات العصر " .

وتوق الثقافة إلي " المراك " ينبئ عن إفراد أخر ..؛ ذلك أن خصوصية الثقافة لا تنفي فرضية تأثرها بالآخر .. تأثرا قد يكون " دافعا " للارتقاء حال التزاوج ، ومعيارا " للتبعية " حال ضعف رؤى الذات لسبل التلاقي مع الآخر .. ؛ ولذلك الطرح الأخير يعزي ما يطلق عليه " استهلاك الثقافة " ..؛ ذلك الذي أضحي حقيقة ــ ولم يعد خيارا ــ في ظل فرضيات العولمة بعامة ، والثقافية منها بخاصة .

سبق "الآخر" المذهل جسد احد عناصر الإشكالية .. فقد أمعن في تأكيد حيرة "الذات" بين ذلك البريق الأخاذ لطرحه ، وبين واقعها الذي غيبت مضامينه تحت ثري مشكلاته ..فكان الخيار "الأيسر" .. "الاستهلاك" ، وان لم يكن ثقافة ــ في البداية ــ فهو سبيل للتعايش !!.

الهـــــوية .. المضـــــمون :

يعرف الجرجاني " الهوية " في كتابه : "التعريفات" ؛ بقوله : " إنما هي الأمر المتعلق من حيث امتيازه عن الأغيار " ، والامتياز هنا بمعنى الخصوصية والتفرد والاختلاف ، .. وهي بهذا المعنى : " مجموع القيم والمثل والمبادىء التي تشكل الأساس الراسخ للشخصية الفردية أو الجماعية .. والعامل الذي يحدد السلوك ونوع القرارات و الأفعال الأصلية للفرد والجماعة ".

ويعرض ميكشيللي لكونها : "مركب من العناصر المرجعية والمادية والذاتية المصطفاة التي تسمح بتعريف خاص للفاعل الاجتماعي " .. (الهوية ، اليكسي ميكشيللي ، 1993م) . ويفسر " الحمد" هذا التعريف بقوله : " بأن الهوية طالما أنها مركب من عناصر ، فهي بالضرورة متغيرة وفي الوقت ذاته تتميز بثبات معين، مثل الشخص الواحد يُولدّ ويشب ويشيخ وتتغير ملامحه وتصرفاته وأحياناً ذوقه لكنه يبقى في الآخر هو نفس الشخص وليس شخصاً آخر " تركي الحمد ، (الثقافة العربية في عصر العولمة) .

والهوية " كمفهوم " .. أخذت من " هُوَ .. هُوَ " .. ؛ بمعنى أنها جوهر الشيء ، وحقيقته ، لذا نجد " الجرجاني " في كتابه " التعريفات " يقول عنها : " بأنها الحقيقة المطلقة ؛ المشتملة على الحقائق ؛ اشتمال النواة على الشجرة في الغيب " . " الجرجاني ، التعريفات ، ص : 314 " .. فهوية الإنسان ..أو الثقافة .. أوالحضارة هي جوهرها وحقيقتها ، ولما كان في كل شيء من الأشياء ــ إنساناً أو ثقافة أو حضارة ــ الثوابت والمتغيرات .. فإن هوية الشيء هي ثوابته ؛ التي تتجدد لا تتغير، تتجلى وتفصح عن ذاتها، دون أن تخلي مكانها لنقيضها ، طالما بقيت الذات على قيد الحياة . " محمد عمارة ، مخاطر العولمة .. ، ص: 6 " .

الهـــــوية .. الشـــــكل :

" الهوية " دوما جماع لثلاثة عناصر: " العقيدة " .. يجسدها اليقين ؛ وتوفر رؤية للوجود ، و" اللسان " أداة التعبير ، وبه يرمز للغة ، و" الموروث " دالة الثقافة ، وتعبر عنه العمائر " محمود المنير ، العولمة وعالم .. ، ص : 146. "

واقتران مسألة " الهوية " بـــ " العمارة " يطرح لما يعرف بالدلائل الثقافية لحركية الشكل ، باعتبار أن الأشكال ــ صيغ التعبير ــ المعمارية في حالة حركة دائما ؛ كونها أشكالا مرتبطة بالحراك الاجتماعي ؛ أي أن المجتمع هو الذي ينتجها ، ويعطيها المعاني الخاصة بها ؛ وهو الذي يدفع بها إلى التغيير حتى تستقر أو تتلاشى وتنتهي . . وتتحول الأشكال في سياق مستويات أربعة للهوية كمقياس لذلك الحراك ؛ حيث تبدأ الأشكال بمعاني فردية ضعيفة ، ثم تصبح مع مرور

الوقت ضمن الذاكرة الجماعية ؛ ذات المعاني الرفيعة ؛ التي يصعب معها تغيير الشكل أو تحريكه .. فتبدأ هذه المستويات من " الهوية الادراكية الفردية " ؛ وهي المستوى الأضعف ، ثم " الهوية الفردية القيمية " ، ومن بعد ها " الهوية الجماعية الادراكية " ، وأخيرا " الهوية الجماعية القيمية "." مشاري بن عبد الله .. الهوية المتحولة والشكل .. " .

وطبعي أن تتداخل عديد من الأبعاد لتحدد " ثقل " الهوية .. " حضورها " و" بواعث تفعيلتها " ، وفي سياق ذلك نجد ــ مثلا ــ أن البعدين الاقتصادي والمجتمعي بالمنطقة العربية ــ وخلال العقود الثلاثة الأخيرة من القرن العشرين ــ كانا قد جسدا الأسباب التي أدت إلى ظهور " مأزق الهوية " في عمارة تلك المنطقة ، باعتبارهما ابرز البواعث التي جعلتها تتبنى أنماطا حضرية لم تكن معروفة ، وبالتالي حدث انفصال بين " الشخصية المحلية " وبين " الشخصية المصطنعة " الجديدة ، تلك التي عبرت عن نفسها بصريا من خلال بني تشكيلية غريبة " مستنسخة " ؛ تفتقر إلى التواصل مع ما يتضمنه الواقع المحلي من جذور ، ويطرحه من إشكاليات ، إذ يبدو أن هناك " توق " للحداثة ، " دون وعي " بفروضها، وهو ما جعل من فكرة ازدواجية " الحداثة.التغريب " تتصاعد ، كأحد الحواجز التي تمنع من الدخول الكلي في عالم الحداثة .. وفى معرض ذلك يرى مشاري بن عبد الله : " أن الوعي المجتمعي للمنطقة العربية بأسرها كان قد بنى جدرانا عالية ، تحول بينه وبين الحداثة الكاملة ، وهو الأمر الذي أوجد نوعاً من الانفصال بين المجتمع والتحولات المادية التي تجري فيه ".

انتقال عمران بعض من أجزاء المنطقة العربية تلك النقلة "النوعية" يطرح تساؤلات عدة ..أبرزها :..هل يعبر هذا الواقع في صبغته الجديدة عن تغير فعلى مس البني الفكرية الثقافية ؟..أم أن الأمر قد تعلق بالإطار دون ما عداه ؟!! وبعيدا عن ذلك أين يمكن إدراك معطيات البيئة .. بصمة الموروث ؟؟!! " صور من الأمارات ".

عولـــــمة الثقـــــافة

وثقافـــــة العولـــــمة :

بعد انتقال مفهوم " الحتمية " من أصله العقائدي إلى عوالم السوسيولوجي والبيولوجي والتاريخ واللغة والاقتصاد .. وما استتبعه من ظهور لحتمية الصراع الطبقي ، والحتمية التاريخية واليات اليد الخفية كما صورها ادم سميث ، تسلل مفهوم الحتمية إلى عالم التكنولوجي ليتجلى مبدأ " الحتمية التكنولوجية " ؛ الذي ساد فكر كثير من مؤرخي التكنولوجيا وعلماء الاجتماع الصناعي والتنمية الاجتماعية " Pacey, A., 1991, The Culture of Technology,p.24, the MIT Press, Cambridge, Massachusetts." .. واقر لكون التقدم التكنولوجي المطرد والمستمر متغيرا مستقلا لا شأن للمجتمع بتوجيهه ، أو إبطائه أو إيقافه ، والمجتمع ــ إزاء ذلك الطرح ــ متغير تابع ؛ ما عليه سوي أن يتكيف مع المتغيرات التكنولوجية ؛ التي تفرزها آليات المجتمع ؛ بصورة طبيعية لاإرادية !!.

ولقاء ذلك الطرح لخص أهل " الحتمية التكنولوجية " تصورهم عن آلية التغير المجتمعي في ثلاثية هي : " على العلم أن يكتشف .. وعلى التكنولوجيا أن تطبق .. وعلى الإنسان أن يتكيف " Pacey, A., 1991, The Culture of Technology,p.25, the MIT Press, Cambridge, Massachusetts. .. فان كانت التكنولوجيا في واقعنا المعاصر هي الأداة الأكثر ثقلا وتأثيرا بيد العولمة .. " بل لعلها العولمة .. الأداة والباعث " باعتبارها اللقيا المتفق عليها بين كافة أرجاء العالم فان المعني بـــ " المجتمع " في ذلك الطرح : " الثقافة " باعتبارها دالة الخصوصية .. وعليه فان " عولمة الثقافة " وإزاء ما تضمنته بني الواقع وفرضياته أمرا لا خلاف عليه .. ذلك أن التكنولوجيا قد غدت " لغة " بذاتها ، .. علي كل الخصوصيات أن تعرض لسبل إتقانها !!. بما قد تتضمنه تلك اللغة من " طروحات لهيمنة "تمس خصوصية الهوية ، وما قد يرتبط بها من مفاهيم ترتبط " بكنه " الذات وعلاقاتها بالموروث بكافة مكوناته .

العـــــولمة .. الباعـــــث :

قبل شيوع " العولمة " كمفهوم طرح " ألفين توفلر " لما عرف بـــ " الموجة الثالثة " تلك التي دشنتها البشرية مع عصر المعلوماتية والحواسب ، بعد " الموجة الأولى " الزراعية ، وكذا " الموجة الثانية " الصناعية ، وذلك في معرض قوله : " أن الهم الكبير كان في العصر الصناعي، هو صنع الأشياء . وفي الوقت الحاضر يبدأ همنا الأول بإدارة الأشياء " . ويستكمل مؤكدا : " أن المبدأ القائل بأن المعرفة هي السلطة أصبح منذ الآن عتيقاً . فلكي تُمارس السلطة تحتاج إلى معارف عن المعرفة ".

وتقريرا لذلك يستهل مؤيي عبد الجبار الحديثي مقدمة كتابه *: " العولمة الإعلامية والأمن .. "* بمقولة توفلر: " المعرفة هي المحور الذي ستدور حوله حروب المستقبل وثوراته الاجتماعية.. إنها القاعدة الأساسية لظاهرة العولمة Globalization " ..؛ ففي عصرنا الراهن تغدو المعلومة هي قاعدة القوة ، .. والمعرفة سلطة من نوع آخر، تتفوق في تأثيراتها على أية سلطة أخرى عرفتها الإنسانية في السابق ، فتصبح تحت طائلة التغيرات المتسارعة الحادثة في حقول الاتصالات المعلوماتية والإعلامية في حقبة أخرى تختلف في خصائصها وموجهاتها عن الحقب السابقة.

ويضيف الحديثي : " أن العولمة ليست ظاهرة جديدة ، بل قديمة قدم التاريخ ، عندما كانت تتصدر حضارة ما باقي الحضارات وتقود العالم " ، مستلاً ومعولاً على أطروحة حسن حنفي في ذلك : " فمن حقنا أن نوضح أن العولمة ، وإن كانت تشبه في هذا النزعات العالمية الكوزموبوليتية للحضارات السابقة ؛ فإنها تختلف عنها من حيث الكيف، في وسائلها وأهدافها وادعاءاتها " .. ويضيف بان استعراض مفردات من قبيل : " التبعية، الاندماج، التكيف، الاعتمادية المشتركة، الهيمنة، الإمبريالية، أمركة العالم.. الخ " .. تدفع بأن : " العولمة ليست رديفاً لأي من هذه المفردات أو المصطلحات، لأن حقيقتها أكبر من تلك المفردات مجتمعة. فهي نظير لمجموع تلك المصطلحات في الأقصى، ولمعظمها في الأدنى. لذا لا ريب أن تضحي العولمة نظاماً تتكامل فيه لغة السياسة والاقتصاد والمعلوماتية. حيث يجد فيه النفوذ السياسي مداه الاقتصادي، بينما يتكئ النفوذ الاقتصادي على ظهيره السياسي، ويتدخل عالم الثروة الاتصالية ليؤطر الظاهرة بأبعاد متداخلة.. " .

إزاء ذلك فانا ومع " العولمة " أمام ظاهرة مركبة ومعقدة ، متعددة الأوجه ؛ إطارها " المفهومي " ملتبس ، ومن الصعب إدراك جميع آلياتها.. ، فهي " إيديولوجيا " ؛ بمعنى انطوائها على منظومة من أفكار وأهداف محددة .. ، وهي كذلك مجموعة من " الإستراتيجيات " المتوافقة لمؤسسات وحكومات وأشخاص ؛ تبدو مستقلة بعضها عن بعض ، غير انها تعمل ــ وإلى حد بعيد ــ بالموجِّهات والاتجاهات ذاتها ، .. لتشكل في مجملها مايربو الي مستوي الثقافة !! .

التقاء صورة المدينة المعاصرة " الحلم " بعديد من طموحات الحراك الثقافي لبعض المجتمعات النامية مهد ــ وإزاء التقائه بخلل في البني التركيبية لثقافات تلك المجتمعات ــ لتقرير ما يعرف " بثقافة الاستهلاك "

وتهيئ " ثقافة العولمة " .. إن جاز أن نطلق عليها اصطلاح ثقافة ــ وإلى حد بعيد ــ مستلزمات وشروط الهروب من الواقع ، أو التعامي عنه . ذلك أن ميديا ذلك الواقع من شأنها أن تخدم غايات وإستراتيجيات مؤسسات وأنظمة بعينها ، وتدفع الآخري إلى مواقع السلبية والهامشية والاستهلاك المحض .. ويتنبه المفكر الفرنسي ريجيس دو بري ه إلى هذه المعضلة الشائكة، فيؤلف كتاباً بعنوان " الميديولوجيا " ؛ .. ويعني بها " العلم الذي يدرس الوسائط المادية التي يتجسد عبرها الكلام " ..، ويطلق على المجتمع البشري : " دائرة التواصل الإعلامي " ؛ ويرى في طوفان الصور الذي يحاصر الفرد المعاصر مفارقة ؛ ذلك أنها بدلاً من أن تشحذ الرؤية فإنها تسبب العمى ، .. ولقد أضحينا بحسب دو بري ه : " بالرغم من تباهتنا معرضين لفقدان البصر، فعندما نرى كل شيء لا يعود لأي شيء قيمة " .

ثقافة الاستهلاك ..

المفـــــهوم والدلالـــــة :

لكل مجتمع أسلوب خاص وسمات متعددة يتصف ــ أو ينفرد ــ بها سلوكه " الاستهلاكي " اليومي أو التاريخ ي ؛ إزاء اختلاف ــ خصوصية ــ معطيات واقعه المادي ، زائداً ما استمده من موروثه القديم من مفاهيم ومضامين ؛ لم تتمكن الحضارة من تجاوزها ؛ ومازال تأثيرها ومفعولها سارياً ــ معاصراً ــ في السلوك اليومي التلقائي العضوي .

وطبيعة " الاستهلاك " وخصائصه بالرغم من كونها تعد مقياسا للوعي بمفردات الواقع المادي الملموس ؛ دون الانشغال والتشاغل بالخيارات الروحية والحسية .. فإنها تختلف من مجتمع لأخر باعتبار الخلاف الوارد بصيغ الاستهلاك ؛ فقد يكون استهلاك " مدرك " ، وقد يكون " مغيب " .. يتخطى استهلاك الوسائل إلى استهلاك الأفكار ، وطبعي أن ينتقل الإنسان ــ آنذاك ــ إلي تبعية للأفكار ومن ثم لمحركيها .. ويمكن رصد ذلك في عديد من المجالات ، وضمنها العمارة .. " مكي محمد ردام ، ثقافة الاستهلاك .. الماضي والحاضر" .

وإذا كانت " ثقافة الاستهلاك " من خلال صناعة الصور تنمّط العقل وتسطحه، فإنها بالمقابل تخاطب جوانب الضعف في بنيته ، جاعلة من الجسد الإنساني ــ الفتي دون ما عداه ــ ثيمتها الرئيسة .. فللمرأة تُختزل إلى جسد مشتهى ، ويكون التركيز على الشكل الخارجي.. وبذا فإن هذه الثقافة تطيح بكرامة الشخصية الإنسانية بعدّها حقيقة مركبة، واعية ومنتجة، وليست جسداً محضاً يُستثمر تجارياً لتحقيق الربح .

ولا تقتصر ثقافة الاستهلاك على مجرد التأثر باملاءات الواقع ، واستهلاك طروحاتها بعيدا عن الإشباع الحقيقي للاحتياجات الاستعمالية للإنسان ، فالمشكلة لا تكمن في الحق الإنساني المشروع في الاستمتاع بكل ما في الحياة من لذات ومتع مختلفة ، ولكن المشكلة تكمن في أسلوب هذا الاستمتاع ، فهناك استمتاع كامل ، يشبع كافة احتياجات الإنسان الحقيقية ، دون أن يشوهه ، أو يحطمه ، ودون أن يسلبه حريته وقدرته على الاختيار.. واستمتاع مريض يدمر الإنسان ويسلبه حريته ، فأسلوب الحياة " البورجوازي " نفسه أذن هو المشكلة ، وليس التمتع بالحياة فى حد ذاته ، فجوهر الأخلاق البرجوازية يكمن فى فكرة تحول كل ما فى المجتمع البشرى لمجرد " سلع " ، حتى البشر أنفسهم ، فيصبح لكل شيء ثمنه ، والجميع معروضين في الأسواق لمن يدفع أكثر ، ليس فقط في السلع المادية ، بل الأفكار، وقوة العمل ، والإبداع المادي والعقلي ، وحتى العواطف والمشاعر ، فالكل خاضع لمنطق الربح والخسارة ، ولا شيء غير ذلك .. وهنا تكمن المأساة !!.

فثقافة " الاستهلاك " هذه تمتد لتلقى بظلالها الثقيلة على كل اهتمامات الإنسان وعلاقاته الاجتماعية ، والتي تحكمها قيمة المنفعة الفردية ، وهى توحد الجميع فى عبادة السلع ، تلك الوثنية الجديدة ؛ التي يمارس الناس شعائرها فى السوق بعد أن يتلقوا التبشير بها عبر وسائل الإعلام .. أيما كانت اختلافاتهم العقائدية ، وهو ما يصيب الإنسان فى المجتمع البورجوازى بالخواء الفكري المروع ؛ الذي يصل إلى حد البلاهة .. ويصيب كل علاقاته بالتشوه والوحشية واللاعقلانية .. فلا يوحد الجميع سوى أساس واحد ؛ هو الربح بأكبر ما يمكن من غنائم السوق وبركاته .. وتلك هي الثقافة الشعبية العالمية السائدة على سائر أرجاء الأرض ؛ بدرجات متفاوتة ، وبتنويعات وبتفصيلات متباينة ؛ تتناسب مع مستويات المعيشة والقيم القومية والدينية والثقافية المختلفة ، فما يجوز فى بلاد الغرب قد لا تقبله بلاد الشرق ، وما يستطيعه البعض فى الشمال لا يستطيعه البعض فى الجنوب ، إلا أن الجميع توحدهم قيم البرجوازية وثقافتها.

علي أن مبعث التفاؤل بين ثنايا ذلك الإيلام " قد يصنعه " وجود إمكانية حقيقية فى يد البشرية لبناء مجتمع جديد ذو ثقافة جديدة ، توثق لها قوى اجتماعية مختلفة .. إلا أن هذا مشروط بوعي جديد ؛ يطرح نفسه كبديل قوى عما هو سائد.. وعى " فضلا على رفضه للسلطوية و التراتبية والقهر والاستغلال " لا يقوم على الكون والتخاذل ، وفي معرض ذلك الطرح يري " أريك فروم " أن المعرفة الحقيقية ؛ التي لابد وأن يقوم على أساسها هذا الوعي ، مشروطة بما يلي : "

تبدأ المعرفة بالوعي بمدى خديعة مداركنا وحواسنا إيانا ، .. بمعنى أن الصورة التي لدينا عن الحقيقة المادية لا تتفق تماما مع الحقيقة الحقيقية ، .. ذلك أن أغلبية الناس أنصاف أيقاظ ، أنصاف حالمين ، وأنهم على غير وعى بأن ما يرونه حقيقة ، وأمورا واضحة ، لا تحتاج لإثبات بأنها ليست إلا أوهاما من صنع إيحاءات البيئة التي يعيشون فيها ، وتبدأ المعرفة إذا بتبديد الوهم ، والمعرفة تعنى : رؤية الحقيقة عارية ، تعنى النفاذ تحت السطح ، والسعي الإيجابي النشيط والنقدي للاقتراب من الحقيقة دائما." .

العولمة وثقافة الاستهلاك :

الفكر.. " الإطار".. الاستهلاك " الواقع".

" الثقافة " صنيعة " العولمة " ، و" نتاجها " ، .. التقائها يؤسس لعديد من المضامين ، باعتبار الأخيرة " أداة " الأولي للتلاقي الحضاري ، الذي " أرخ " لها عبر حقب التاريخ المتتابعة ، ولذلك التلاقي أن يجسد ثابتا تاريخيا ذي وجهين :

***أحدهما** .. تتضمنه آفاق " التزاوج الثقافي " ، و" فاعلية " التلاقي المتوازن بين مختلف الثقافات ومختلف المعارف ، ويرتبط دوما بنوع من الحراك تجاه الثقافة الأعلي ، وينتهي إلي تراكمات حضارية يمكن استقراء ملامحها عبر كافة الحضارات ؛ ولذلك تؤاول " تاريخانية " العولمة .*

***والأخر** .. يتعلق بصور الامتصاص أو التثاقف وتجسده " ثقافة الاختراق " ؛ بما ماقد تتضمنه من هيمنة ثقافية ؛ تعد باعثا لاختراق ثقافات الشعوب وسلبها خصوصيتها ، ومعلوم أن "الاختراق الثقافي" احد أدوات السيطرة على الإدراك ؛ اختطافه وتوجيهه ، وبالتالي سلب الوعي والهيمنة على الهوية الثقافية .. ؛ بغرض إخضاع الذات وتعطيل فاعلية العقل ، وإعادة توظيف القيم ، وقولبة السلوك .*

والوجه الأخير يستهدف " تكريس " نوع من " الاستهلاك " لنوع من الأفكار والمعارف ، أو حتى السلع ؛ .. معارف " موجهة " تشكل في مجموعها ما تقتضيه أفكار تلك الثقافة .

دار الأوبرا المصرية وبانوراما حرب أكتوبر ومكتبة الإسكندرية والمتحف المصري الكبير.. تري ما السبب وراء سبق " الأخر " إلي تقرير صورها جمعاء !!؟ .. هل هي القدرة الفكرية والسبق !!؟ أم أن الخلود للاستهلاك قد انتهي " بالذات " إلي واقع تلاشت إزاءه قدراتها على الابتكار .. وإذا كانت قد فقدت القدرة علي التعبير عن ماض ثقل ارثه فكيف بها أن تعبر عن حاضر ــ هي ــ بالفعل خارج حساباته .

وتسعى " ثقافة الاختراق " تلك إلى تكريس هيمنة ثقافية من خلال مجموعة أوهام ؛ حصرها " باحث أمريكي " في خمس ..هي على التوالي .. " وهم *الفردية* ، وهم *الخيار الشخصي* ، وهم *الحياد* ، وهم *الطبيعة البشرية التي لا تتغير*، وهم *الصراع الاجتماعي* " .. حيث :

" *الفـــــردية* " .. وتعني اعتقاد الفرد أن حقيقة وجوده محصورة في فرديته ، وأن كل ما عداه لا يعني ه ، وهذا من شأنه تخريب وتمزيق روابط الجماعة وما يتعلق بها من التزامات .

" *الذاتـــــية* " ..كأداة لتكريس النزعة الأنانية مقابل طمس لروح الجماعية، سواء كانت أتعلقت بصورة الوعي الوطني أو الشعور الإنساني.

" *الحيـــــاد* " .. فالإنسان وامتدادا لما سبق "محايد" ، والكل إزاءه "*محايدون*" ، أو يجب أن يكونوا كذالك ، وهذا من شأنه أن يكرس للتحلل من كل التزام ، ويدفع بأهلية الشعار القائل : "لا شأن لي".

" *الحتمـــــية* " : ويرمي الي *القبول بالمتاح* وصرف النظر عن رؤية طرفي الحقيقة وتعاطي الواقع في سياق فكري يرتبط بالحتمية ، ويقر بطبيعية وتلقائية الواقع ، بل وخضوعه للمسلمات .

" *الاســـتتباع* " *الحضاري* .. كنظير للاعتقاد في غياب الحراك الاجتماعي ؛ وما يترتب عليه من تعايش مع صيغ الإملاء ، وتسويغ لحيثيات التجاوب مع سطوة الآخر ، والاستسلام لفرضيات الاستتباع الحضاري .

و" الاختراق الثقافي " مدعاة " للاستهلاك " فكرا وممارسة ؛ ذلك أن أي ثقافة من شأنها أن تزدهر وتنشط " بقبول " الآخر، بيد أن ذلك القبول قد يدفع بالثقافة ــ حال ضعفها ــ إلي نوع من الاستهلاك ، رغم ما قد يعتري ذلك القبول من بريق ــ يجسده تقل ذلك الآخر ــ أخاذ ، يخطف الأبصار.. إلا أن هذا البريق لا يتغلغل في الشعور والوجدان , لان كل ما يأتي سريعا خاطفا يذهب ويتلاشى بريقة بالسرعة نفسها التي أتى بها.

ويعرض " نجاح قدور" .. في سياق طرحه " لقضايا الهيمنة الثقافية الحضارية " بقوله : " .. على العموم يمكن تحديد ابرز طروحات " ثقافة الاستهلاك " ....علي نحو مايلي :

- *طرح " تجزيئي " برغماتي ، وضعي نفعي ، يفتقد إلي الموضوعية ، والرؤية الكلية ، والحس الجمعي .*
- *طرح " تبريري " تخديري ، ينمي روح الاستهلاك والابتذال والسلبية .*
- *طرح " لمظي " آني ، جامد ، أحادي الاتجاه ؛ يفتقر إلي الحس التاريخي ، والخبرة التراكمية .*
- *طرح " شكلي " خالي من العمق الإنساني والإبداعي .*
- *طرح " فردي " سطحي مبتذل ، يفتقر إلي الحس الذاتي بالهوية .*

هي باعث " إدن" لتزييف الوعي ، وإنكار الهوروث ، وتجاوز القيم ، تنتهي إلى اقتلاع خصوصية الثقافة ، وإبدالها بثقافة براقة الظاهر خاوية المضمون .

و يمكن استقراء ..

" الفردية "، و" الذاتية "، و" الحياد"، و" الحتمية "، و" الاستتباع " كصور *متباينة للوهم* بوضوح حال التناول التحليلي لصيغ التعبير المعماري لعمران المدينة العربية المعاصرة ؛ فالفردية والذاتية باعثان لاستقلالية ــ ومن ثم تباين ــ التعبير ، والحياد يجسده الارتجال وغيبة المرجعية سواء فيما يتعلق بالنظرة إلي الموروث أو ما تجسده الرؤى التبريرية لحيثيات الخلاف ، وأما " الحتمية " و " الاستتباع " فقد أورثتا ركونا إلى نظرتين : الأولي .. تتعلق برؤية الموروث " بعين " الآخر ، والثانية تجسدها " تبعية " مطلقة ــ ودونما تفكير ــ لطرح ذلك الآخر.

أسهمت معطيات الواقع الثقافي المعاصر في بزوغ نوع من الطرح الجدلي لقاء المرجعية التراثية وجدواها ، مقابل النظرة الاعتبارية للموروث ــ كنتاج للبشرية جمعاء ــ والتقائها بطروحات العولمة ، وما تكفله من إمكانية القدح في حتمية اتخاذ مفرداته للتعبير عن بصمة بيئات بعينها.

وأيضـــــــا فان ..

" التجزيئية" و" التبريرية" و" اللمظية" و" الشكلية" و" الفردية".. كطروحات مميزة لثقافة " الاستهلاك " .. يمكن استقرائها في النتاج المتراكم لذات العمران ؛ فـ " التجزيئ " عد مدخلا لاستقلالية الرؤية والخصوصية ــ الغير مبررة ــ للتعبير ، و" اللحظية " غدت سبيلا لإنكار ــ أحقية ــ منظومتي التلاقي المكاني والتواصل الزماني ، وأما " الشكلية " فقد ارتكنت إلي فلسفة واقع نسب لما عرف بعصر " الصورة " ، وأخيرا وإزاء ما سبق ــ وغيره ــ فان استقراء " الفردية " سواء في الفكر او نتاج الممارسة ليس بالأمر الصعب .. نجدها في حيثيات الطرح التبريري لرؤية جدلية التراث والمعاصرة ، نجدها في صيغ التعبير ، في خيارات الألوان ، نجدها في إملاء الوظائف ، و.. ، وغير ذلك كثير .

النـــــــــــتائج :

التفاوت الثقافي قد يكون أداة " للاختراق " وما قد يستتبعه من تداعيات تنتهي إلي " تبعية " ذات صيغ " استهلاك " تمس الفكر ، وتنسحب إلي حيثيات الممارسة ؛ ذلك أن أي ثقافة من شأنها أن تزدهر وتنشط " بقبول " الآخر ، بيد أن ذلك القبول قد يدفع بالثقافة ــ حال ضعفها ــ إلي نوع من " الاستهلاك " .. رغم ما قد يعتري ذلك القبول من بريق أخاذ

يجسده ثقل ذلك الآخر ، .. ويقود " الذات " وبالتبعية إلي عديد من الإشكاليات .. تحكمها طروحات " ثقافة الاستهلاك " وتتمـــــــــــــثل في :

" التجزيئية " ، و" التبريرية " ، و" اللعطية " ، و" الشكلية " ، و" الفردية ".

، وما قد يستتبعها من صور للـــ :

" الفـــردية "، و" الذاتية "، و" الحـــياد "، و" الحـــتمية "، و" الاســـتباع" .

كبواعث متباينة ، تكرس للوهم ..الذي تتعدي آثاره قيم الإدراك إلي نتائج الأفعال .. في شتي مجالات الواقع ، ومنها العمارة والاحتدال .. واستقراء ذلك" حال التناول التحليلي لصيغ ومفردات التعبير المعماري لعمران المدينة العربية المعاصرة" أمرا لا خلاف عليه ..

ذلك ان : " *التجزيئية* " و " *التبريرية* " و " *اللعطية* " و " *الشكلية* " و " *الفردية* " .. يمكن استقرائها في النتاج المتراكم لذلك العمران ؛ فـــ " *التجزيئية* " عد مدخلا لاستقلالية الرؤية والخصوصية ـــ الغير مبررة ـــ للتعبير ، و" *اللعطية* " غدت سبيلا لإنكار ـــ أحقية ـــ منظومتي التلاقي المكاني والتواصل الزماني ، وأما " *الشكلية* " فقد ارتكنت إلي فلسفة واقع نسب لما عرف بعصر " *الصورة* " ، كذلك فان استقراء " *الفردية* " سواء في الفكر او نتاج الممارسة ليس بالأمر الصعب .. نجدها في حيثيات الطرح التبريري لرؤية جدلية التراث والمعاصرة ، نجدها في صيغ التعبير ، في خيارات الألوان ، نجدها في إملاء الوظائف ، و.. ، وغير ذلك كثير .

أيضا فان : استقراء مردود " *الفردية* "، و" *الذاتية* "، و" *الحياد* "، و" *الحتمية* "، و" *الاستتباع* " في بني ذلك العمران أمرا لا خلاف عليه .. فـــ " *الفردية* " و" *الذاتية* " باعثان لاستقلالية ـــ ومن ثم تباين ـــ التعبير ، والحياد يجسده الارتجال وغيبة المرجعية سواء فيما يتعلق بالنظرة إلي الموروث ، أو ما تجسد ه الرؤى التبريرية لحيثيات الخلاف ، وأما " *الحتمية* " و " *الاستتباع* " فقد أورثتا ركونا إلى نظرتين : الأولي .. تتعلق برؤية الموروث " *بعين* " الآخر ، والثانية تجسدها " *تبعية* " مطلقة ـــ ودونما تفكير ـــ لطرح ذلك الآخر.

ولكون العولمة تعرض لفرضية " *النمط الثقافي الحضاري الاوحد* " فتحقيق " الذات " وتأكيد " *الهوية الحضارية* " اتقاءا لتداعيات " ثقافة الاستهلاك" لن يتأتى إلا من خلال فعل إبداعي ، يسهم بفعالية في صيرورة العالم المعاصر وتحولاته ؛ استثمارا لمنطق التنوع الثقافي ؛.. ذلك أن الأفق المتاح أمام الثقافات التابعة ـــ مع ما توفره تقنيات وميديا الواقع ـــ هو العمل على " *إعادة تقرير بنى الواقع من جديد بالقول والعمل أو بالفكر والممارسة، فليس عالم الإنسان فكرة جاهزة ينبغي تجسيدها، أو نموذجاً أصلياً مغلقاً لا يقبل المناقشة والتفاعل، بل هو مساحة حرة من الامكانات المفتوحة دوماً على المجهول والاّ متوقع، على نحو يتيح نسج علاقات جديدة ؛ يتغير معها كنه المعنى ومنظومات التواصل .. أنظمة المعرفة وقواعد الممارسة.. جغرافية العقل وخارطة التلاقي .. مع ذلك الآخر* " .

المـــــــــــراجع :

1. الشريف الجرجاني: "***التعريفات*** " ، دار عالم الكتب ، بيروت ، الطبعة الأولى 1407ه – 1987م، ص: 314.
محمد عمارة: "***مخاطر العولمة على الهوية الثقافية*** " ، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، الطبعة الأولى، فبراير 1999م، ص: 6.
2. اليكسي ميكشيللي : "***الهوية*** " ص 169، دمشق ، دار الوسيم ، 1993م .
3. برهان غليون ، سمير أمين : "***ثقافة العولمة وعولمة الثقافة*** " ، دار الفكر ، دمشق .. ط2 / 2000 ، ص 47 ــ 48 .
4. تركي الحمد : "***الثقافة العربية في عصر العولمة*** " ، ط2 ، بيروت ، دار الساقي ، ص18 ، 2001م .
5. مجلة "***الفكر العربي المعاصر*** " العدد السابع ، صيف 1989 ــ حوار مع رولان بارت .. ص 143 ــ 149 .
6. مجموعة كتاب وباحثين : "***الهوية والعولمة*** " ، ندوة الأكاديمية المغربية ، المغرب ، 1997 ، ص 125 .
7. محمد عابد الجابري : "***قضايا في الفكر المعاصر*** " .. مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط1 ، 1997 ، ص140 .

8. محمود المنير : " ***العولمة وعالم بلا هوية*** " ، 2000م ، المنصورة ، دار الكلمة ، ص 15.
9. محمود سمير المنير : " ***العولمة وعالم بلا هوية*** " ، دار الكلمة للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر، الطبعة الأولى، 1421هـ – 2000م، ص: 146.
10. مركز دراسات الوحدة العربية : " ***العرب والعولمة .. بحوث ومناقشات*** " ندوة فكرية نظمها مركز دراسات الوحدة العربية ، الطبعة الثانية ، 1998.
11. مشاري بن عبد الله النعيم : " ***الهوية المتحولة والشكل المعماري الثقافي .. حركية الشكل المعماري وارتباطها بالمعنى*** "، مركز أبحاث جنوب المتوسط ,(C.R.i.S.S.M.A) ، ميلانو ايطاليا ، جريدة الرياض السعودية ،، الصادرة يوم الخميس 26 جمادى الأولى1427هـ – 22 يونيو 2006م – العدد 13877 ".
12. مؤيد عبد الجبار الحديثي : " ***العولمة الإعلامية والأمن القومي العربي*** " ، الأهلية للنشر والتوزيع ، عمّان .. ط 1 / 2000 .
13. هشام ألحاجي : " ***الجسد .. نصوص مترجمة*** " تراجم ، دار نقوش عربية ، 1994 تونس ، ص 40 .

14. Graham, L. R. (1989)." ***Disputers of the Tao***" La Salle: Open Court Press.
15. Curran, James and Gurevitch, Michael Ed. "***Mass Media and Society***," London, Edward Arnold, 1991.
16. Mattelart, Armand, "***Transnational and the Third World: Struggle for Culture,***" Massachusetts, Begin Publishers Inc., 1983.
17. Howitt, Dennis, "***Mass Media and Social Problems***," Oxford, Oxford Press, 1982.
18. Sinclair, John, "***Images Incorporated: Advertising as Industry and Ideology***," London, Croon Helm, 1987.

مواقع الكترونية :

20. سليم النجار : " ***الثقافة المقاومة في مواجهة ثقافة الاستهلاك*** "الحوار المتمدن ، العدد: 1566، 30 / 5 / 2006
http://www.rezgar.com/debat/show.art.asp?aid=66198mailto:saleemnajar@yahoo.com?subject
21. سعد محمد رحيم : " ***العولمة والإعلام.. ثقافة الاستهلاك .. استثمار الجسد وسلطة الصورة*** " ، الحوار المتمدن – العدد: 1275 – 3 / 8 / 2005
22. mailto:saadrhm@yahoo.com?subject=Comments about your article&body
http://www.rezgar.com/debat/show.art.asp?aid=42345
23. محمد عمارة : " ***الاستنارة بين الذات والآخر.. مقاربة قرآنية لاستشفاف الضرورات*** " ، الموسوعة الثقافية "..
Copyright © 2000 alblagh ORG. All rights reserved. info@balagh.com"
24. مكي محمد ردام : "***ثقافة الاستهلاك ــ الماضي والحاضر***" في عرض لكتاب جورج ر يتز ر : " علم ا لاجتماع والاستهلاك " . " **Explorations in the Sociology of Consumption** " Gorge Ritter, موقع "المدى "عن مؤسسة المدى للإعلام والثقافة والفنون المعرفة ... الجزيرة نت. الأربعاء 1427/4/19هـ ــ الموافق 2006/5/17م " .